تنظيم النسل: مفاهيمه التطبيقية دراسة مقاصدية

Ahmed El-Mogtaba Bannga Ahmed Ali

Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences,International Islamic University Malaysia, Kuala Lumpur.

ملخص البحث:

عمل البحث على عكس تطبيقات قضية تنظيم النسل عبر تاريخ البشرية، مستعرضا الأدلة النقلية من القرآن والسنة وتحليلها، مبرزا دور الإسلام وتوجيهاته وضوابطه ومقاصده فيما يتعلق بالنسل، ومن أجل مقاصد الإسلام في النسل هي تكثيره، وتحديد النسل أو تنظيمه ضرورة مرحلية وموضعية، فالأصل تحريمها ومحاربتها، وقد تبين من واقع البحث أن تحديد النسل وفق مساقات القرآن واحدة من سبل العذاب الممارسة من قبل الطغاة كفرعون والنمرود، وفي المقابل كثرة النسل نوعا من النعم الربانية، ذكر الله تعالى بها قوم شعيب، وحث قوم نوح على الإكثار من الاستغفار والتسبيح، وبين لهم أن ذلك سببا لتكثير النسل، وتبين أن ما تمر به البشرية من تحديات إقتصادية لا علاقة لها بكثرة النسل، فهي ذات علاقة مباشرة بالفساد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وبين البحث تعاظم دور الطب في تطبيقات علم الأجنة، مما تقتضي مراعاة أخلاق المهن الطبية، وتوظيفها فيما يحقيق مصالح مشروعة ويدرئ مفاسد مخظورة، وقد اعتمد البحث منهج الاستقراء، والتحليل في لملة أطراف الموضوع وتحليله، والاستفادة من معطياته، لتتواكب مع ما يرمي إليه الإسلام في قضايا النسل والتناسل.

الكلمات الافتتاحية: تنظيم النسل مفاهيم تطبيقية مقاصدية

مقدمة البحث:

يعد النسل قضية البشرية الأولى، لتعلقه بالإنسان وجوداً وعدماً، صحة ومرضاً، كرمه الله كمخلوق: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(70)﴾ الإسراء، ومهد له الأرض سبيلاً للمعاش وتكفل برزقه بالمال والبنين وكل سبل العيش السليم، الذي يحفظ له البقاء والاستمرار، وفق نواميس كونية دقيقة سخر له فيها الليل والنهار، والشمس والقمر، والبحار والأنهار، من لدن حكيم خبير، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ..﴾ الملك، خُلِقَ لغاية عظيمة وهي تحقيق العبودية لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) الذاريات. وبهذه الكيفية صار حفظ النسل واحداً من أهم الضرورات في مقاصد الشريعة الإسلامية، الذي دعت فيه إلى تحكيم قيم الإسلام في الفرد والأسرة، فَسُنَّ الزواج لخلق مجتمع رسالي صالح وفاعل ومترابط، ومتسامح، تسود فيه روح العدالة والرحمة،[1] ويتفانى فيه أفراده ينابيعاً للخير، لتحقيق الغاية من الخلق وإبراز روح الشريعة التي تتمثل فيها قيم الإنسانية السمحة، على هدي القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة، هذا ما عناه الإسلام من تنظيم النسل. أما تنظيم النسل بما يُعَرف به الحد من الإنجاب أو التقليل منه، وفق أساليب تتنافى مع آداب المجتمع وحقوق الناس بإباحة اللواط والزواج المثلي، وما ابتكر من وسائل مُعِيْنَة في ذلك، فقد عَدَّهُ القرآن الكريم بشكل عامٍ سبيلاً من سبل الفساد والضرر الذي لحق ببعض الأمم جراء أسباب اقتصادية، أو سياسية، أو دينية، أو اجتماعية، فما فعله فرعون بقوم موسى من قتل الأطفال وختان الإناث[2] تقليلاً للإنجاب، ونشرًا للأمراض التي أودت بحياة الكثير من البنات والنساء، ومن ثم قوم لوط الذين اكتفوا باللواط الذي هو في حد ذاته واحداً من مهددات التكاثر البشري، وقبيل الإسلام ما فعله عرب الجاهلية من وأد البنات نتيجة أسباب اجتماعية واقتصادية[3]، وها هو التاريخ يعيد نفسه فقد أضحت العولمة التي جعلت قضية تحديد النسل من هواجسها، ظناً منهم أن الأرض لا تسع العباد إذا تكاثروا، فاستبدلوا الفطرة بإباحة المحظور من زواج المثل، واللواط، والسحاق،..الخ. ومن هنا برز دور الطب كمحور أساس، وسلاح ذو حدين في تنظيم النسل بمفهوم الإسلام، أو الحد منه أو تقليله، لذا لا بد للطبيب من التحلي بأخلاق المهنة وفق روح الشرع باعتبار الطب مهنة رسالية، ساعية لإسعاد البشرية بما تقوم به سبل الرعاية الصحية التي تعد التنظيم الأسري واحدا من روافدها، لذا فإن أبرز نقاط البحث تتمثل في: مفهوم تنظيم الأسرة وملامحه التاريخية، تنظيم النسل وفق مقاصد الشريعة، وسائل ومظاهر تنظيم النسل في العصر الحديث، أخلاقيات الطب وأثرها في تنظيم النسل. والبحث يدور حول عدة أسئلة منها: ما مفهوم تنظيم النسل؟ وما جذوره التاريخية؟ ما المقاصد الشرعية من قضية تنظيم النسل؟ كيف نحدد أبرز وسائل ومظاهر تنظيم النسل في العصر الحديث؟ ما الحكم الشرعي لتنظيم النسل بكافة معانيه؟ ماذا يقصد بأخلاقيات

Corresponding author :
Ahmed El-Mogtaba Bannga Ahmed Ali
Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences ,
International Islamic University Malaysia,
PO Box 10, 50728, Kuala Lumpur.
Email : mogtaba@iium.edu.my

الطب وكيفية أثرها في تنظيم النسل؟ كما يهدف البحث إلى: التعريف بمفهوم تنظيم النسل، وبيان ملامحه التاريخية. إبراز مقاصد الشريعة في تنظيم النسل. بيان وسائل ومظاهر تنظيم النسل في العصر الحديث. تحديد أبرز النقاط المعنية بأخلاقيات مهنة الطب وبيان أثرها في تنظيم النسل .

إشكالية البحث: يدور البحث حول تحديد المفارقة في مفهوم تنظيم النسل بين مقاصد الشريعة، وواقعه عبر ملامحه التاريخية والمعاصرة، ومن ثم آلية فك الارتباط بين قضية تحديد النسل ومسوقاتها الاقتصادية، والكشف عن السبب الرئيس لتعاسة الناس وشعورهم بشح الموارد والتي لا يعد تحديد النسل فيها سبب، ومن ثم التعريف بالإفرازات المجتمعية السالبة لقضية تنظيم الأسرة في مفهومها المعاصر مما يحتاج إلى لملمة أطراف الدراسة ومقارنتها وتحليلها بما يتناسب مع محاور الدراسة.

مفهوم تنظيم النسل وجذوره التاريخية :

التنظيم: هو الاتساق، والهدى، والاستقامة على العادة المتبعة[4]، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)﴾ هود.

النسل في اللغة: يطلق على عدة معان منها: الإنفصال عن الشيء، ويطلق على الولد والذرية[5] ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "تناسلوا تكاثروا"[6]، ويطلق على الإسقاط: نسلَت النَّاقَةُ بوَلَدٍ كثير الوَبَرِ : أَسْقَطَتْهُ . نَسَلَ الصّوفُ نُسولاً : سقطَ وكذلكَ الشَّعَر والرِّيشُ وقيل. وتطلق على الإسراع في المشي ومنه قولُه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (51)﴾ يس، قال أبو لإسحاقَ: أي يَخرُجونَ بسُرعَةٍ وفي الحديثِ: أَنَّهُم شَكَوا إلى رسولِ اللهِ صلّى الله تعالى عليه وسلَّم الضَّعْفَ فقال: "عليكُمْ بالنَّسْلِ"[7] : أَصْلُ النَّسَلان للذِّئبِ ثمَّ اسْتُعمِلَ في غير ذلكَ وفي الأُناسِ.[8]

تنظيم النسل اصطلاحاً: تقليل فرص الانجاب أو تحديدها أو تعطيلها، وفق وسائل متعددة، مستندة في ذلك على العرف والقانون.[9]

إذا تنظيم النسل في الواقع حمّال لمعان متعددة، منها تقليل فرص الإنجاب، أو حدها أو منعها، ويطلق عليه تنظيم النسل وتحديد النسل، فبينهما عموم وخصوص. وهو يتعلق في الغالب بالنطف، قبل التخليق، وقد يتعداها إلى الحد من الكترة السكانية، بافتعال الأمراض والجوع، وتأخير سن الزواج، وإباحة العلاقات المثلية الشاذة، والإجهاض، كما يشمل العزل ابتداءاً. يتوقف تحديده وتطبيقه ومشروعيته على المقصد الذي بني عليه، فهو عند المسلمين في مفهومه وتطبيقاته مغاير لما هو عليه في الفكر الغربي، بصورة عامة، ففي بعض المجتمعات غير الإسلامية أخذ منحى تنظيم النسل مناحي تحديد النسل بالإكتفاء بالعدد القليل من الأطفال، سيما في الدول ذات الكثافة السكانية العالية كالصين التي فرضت سياسة الاكتفاء بالطفل الواحد، واستمرت عليه فترة من الزمان تجاوزت ثمان وثلاثين سنة، ومع أنها الأعلى نسبة من حيث عدد السكان، فقد تسبب تحديد النسل في الصين حسب خبراء علم الديمغرافي، في خلل سكاني باتت معه الصين في واجهة مع الشيخوخة المبكرة، حيث تقلص عدد القوى العاملة، ومن المتوقع في ثلاثينات هذا القرن أن يصل عدد المسنين إلى ربع السكان فما فوق، وأضحت قضية تنظيم النسل ثقافة مجتمعية يصعب تغييرها، فالوالدين في الغالب خلفيتهم الأسرية ذات طفل واحد، مما يمثل هاوية ديمغرافية تواجهها الصين في مستقبل السنين.[10]

الجذور التاريخية لتنظيم النسل ونتائجه:

تشير الدراسات أن واقع تنظيم النسل المتمثل في التقليل من الإنجاب أو قطعه، ارتبط منذ القدم بالمجتمعات البشرية، والوسائل التي شاع استعمالها كانت وسائل بدائية، كوضع العسل، وأوراق السنط، ونبتة السيلفيوم التي تسبب الإجهاض وتمنع الحمل. [11] ومن بعض النباتات التي كانت عادةً ما تستعمل لتحديد النسل في اليونان القديمة هي الجزر البري، والصفصاف، والنعناع، والشيح، والنخيل، والرومان، وتعتبر هذه النباتات سامة في حد ذاتها وفي حاجة لتحديد جرعات آمنة، وما زال بعضها يستعمل في تحديد النسل. كما كان الإجهاض، ووأد الأطفال، يمارس نوع من أنواع تحديد النسل في القرون الماضية.

في العصر الحديث تحول تحديد النسل الى هوس سياسي، كما أصبح زيادة سكان العالم هاجس اقتصادي يؤرق كاهل الدول يشير ثوماس مالثوس في كتابه عن مبدأ السكان إالى ان محنة نمو السكان لا تتناسب مع الموارد، وأشار إلى ضوابط توازن السكان مع الموارد برفع معدل الوفاة مثل الجوع والمرض والحروب، وضوابط تقليل الولادة كالاجهاض، وتحديد النسل، والبغاء، والامتناع عن الزواج أو تأجيله[12]، وتطور الأمر بالتقدم العلمي الذي أظهر الوسائل الحديثة في منع الحمل وتحديد النسل، كافتتاح العيادات الخاصة للإجهاض، والتوعية بتحديد ومنع الحمل في الولايات المتحدة، وبريطانية، وروسيا وغيرها من الدول، وبالتوسع التكملوجي، ازداد الاهتمام بقضايا تحديد النسل، وتطور حتى بات أمراً مألوفاً وثقافة اجتماعية تعم كافة أرجاء العالم الحديث.

وفي الإسلام يعد تحديد النسل أو منعه ضربا من ضروب العذاب، والإفساد في الأرض، ورمزا من رموز التسلط والقهر، الذي كان يمارسه الطغاة من الحكام والملوك، وضرب القرآن الكريم كثير من الأمثلة في ذلك، بما فعلخ فرعون وعرب الجاهلية قبل الإسلام:

ممارسات فرعون في تحديد حمل نساء بني إسرائيل: لما علم فرعون أن ملكه وجبروته أصبح آئلا إلى السقوط، استعمل مع بني إسرائيل ألوانا من التعذيب كانت متعلقة في أساسها بقضية تحديد النسل من سلالة بني إسرائيل قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (6)﴾ إبراهيم، وسوء العذاب هو عذاب التسخير والإرهاق وتسليط العقاب الشديد بتذبيح الأبناء وسبي النساء، والمعنى يذبحون أبناء آبائكم ويستحيون نساء قومكم الأولين. والمراد من الأبناء قيل أطفال اليهود، وقيل أريد به الرجال بدليل مقابلته بالنساء وهذا الوجه أظهر وأوفق بأحوال الأمم إذ المظنون أن المحق والاستئصال إنما يقصد به الكبار، ولأنه على الوجه الأول تكون الآية سكتت عن الرجال إلا أن يقال إنهم كانوا يذبحون الصغار قطعا للنسل ويسبون الأمهات استعبادا لهن ويبقون الرجال للخدمة حتى ينقرضوا على سبيل التدريج. وإبقاء الرجال في مثل هاته الحالة أشد من قتلهم. والاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثا وهو أن يعتدوا على أعراضهن ولا يجدن بدا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق فيكون قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ كناية عن استحياء خاص ولذلك أدخل في الإشارة في قوله: ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ولو كان المراد من الاستحياء ظاهره لما كان وجه لعطفه على تلك المصيبة.[13]

ممارسات أهل الجاهلية بقتل الأولاد (الموؤدة): والمعني بقتل الأولاد في هذه الآية ونحوها هو الوأد، وهو دفن البنات الصغيرات أحياء فيمتن بالتراب، كانوا يفعلون ذلك خشية الفقر، -كما قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ(31)﴾ الاسراء- ، وخشية أن تفتضح الأنثى بالحاجة إذا هلك أبوها، أو مخافة السباء، أو تشاؤما بهن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58)﴾ النحل، وقيل: كانوا يفعلون ذلك من شدة الغيرة خشية أن يأتين ما يتعير منه أهلهن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(9)﴾ التكوير. سئل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن قوله تعالى﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إني وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية قال: "اعتق عن كل واحدة منها رقبة، قلت: إني صاحب إبل قال: اهد إن شئت عن كل واحدة منهن بدنة"[14]

ووصفهم الله تعالى بالخسران، كانت تميم منعت النعمان بن المنذر الإتاوة فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر فاستاق النعم وسبى الذراري، فوفدت إليه بنو تميم فأنابوا وسألوه النساء فقال النعمان: كل امرأة اختارت أباها ردت إليه وإن اختارت صاحبها أي الذي صارت إليه بالسبي تركت عليه فكلهن اختارت أباها إلا ابنة لقيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج، فنذر قيس أن لا تولد له ابنة إلا قتلها فهذا شيء يعتل به من وأدوا، يقولون: فعلناه أنفة، وقد أكذب الله ذلك في القرآن، أي بقوله: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً(140)﴾ الأنعام. ذكر البخاري، أن أسماء بنت أبي بكر، قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها. والمعروف أنهم كانوا يئدون البنت وقت ولادتها قبل أن تراها أمها[15]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(59)﴾ النحل.

المقاصد الشرعية من تنظيم النسل: الناظر إلى مساقات الأدلة الشرعية في قضايا النسل، وما رسمه القرآن الكريم لنا من قوانين وعبر سالفة عبر التاريخ البشري، وما قامت به السنة من توضيح وتفصيل لمقاصد الإسلام من التناسل، وأهدافه وآثاره، يمكن من خلاله استنباط بعض المقاصد المستقاة من تلك الأدلة الشرعية، حيث مساحة البحث وطبيعته تقتضي الاقتصار، وعليه فإن أبرز النقاط المستوحاة من ذلك تتفصل في أن:

- الأصل في النسل التكثير: يصور القرآن أن التناسل وتكثير الذرية نوع من أنواع النعم التي يحمد الله تعالى عليها، وهي هبة ربانية قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(49)﴾ الشورى. وحث عليه بكثرة الدعاء والاستغفار قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً(41)﴾ نوح. وذكر قوم شعيب بهذه النعمة، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ(86)﴾ الأعراف. وقد أنعم الله تعالى على الوليد بن المغيرة بالولد الكثير، فقيل كان له عشرة وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم ذكور[16]، فقابل هذه النعمة بالكفر والطغيان، فكان مصيره الهلاك والتنكيل، وأزل فيه قرآن يتلى إلى يوم الدين شاهداً على كفره وجبروته قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17)﴾ المدثر. وجاءات مساقات الحديث الذي هو وجه من وجوه التأكيد والبيان لتوجيهات ومساقات القرآن الكر يم، جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد، أفأتزوجها قال: »لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم«. [17] وأباح الله تعالى تعدد الزوجات وكان من ذلك مقاصد تكثير النسل، فالمرأة هي المعنية بالحمل، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ(3)﴾ النساء.

- تنظيم النسل في الإسلام بمعنى التقليل من الإنجاب ضرورة تقدر بقدرها: ففقه الضرورات، لا يمكن تعميمه بحكم أنه طارئ

يزول بزوال الضرورة، وقد أشار العلماء لذلك بعدد من الأمثلة، إن كانت أمراض يرجى برأها، وبما أن النبي صلى الله عليه وسلم أباح العزل فإن الأمر فيه سعة، وقد رُوِيتِ الرخصةُ فيه عن عشرة من الصحابة: علي، وسعدِ بن أبي وقاص، وأبي أيوب، وزيدِ بن ثابت، وجابرٍ، وابنِ عباس، والحسنِ بن علي، وخبَّابِ بن الأرتِّ، وأبي سعيد الخدري، وابنِ مسعود، رضي الله عنهم.[18]

- لم يكن قضايا الرزق والموارد الاقتصادية سببا لتنظيم النسل في الإسلام: فالقرآن الكريم مساقاته في قضية الرزق موجهة على أنها ضمن محاور العقيدة، التي بينها تعالى في كتابه فهو واهب الحياة والرزق قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (6)﴾ هود. أمر بالاعتدال في الإنفاق والإحسان وحرم قتل الأولاد خشية الفقر والعوز، الذي كان يمارسه أهل الجاهلية أو ما يمارسه دعاة تحديد النسل، والمجيزين للإجهاض في الواقع المعاصر، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...(151)﴾ الإسراء، وخصص تحريم القتل بخشية الإملاق لأنه هو الدافع لهم لقتل الأولاد، والنبي صلى الله عليه وسلم جعل من شروط البيعة الانتهاء عن قتل الأولاد قال صلى الله عليه وسلم: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ...".[19]

- تحديد النسل نوع من التعذيب وطريقة جالبة لسخط الله تعالى: ذكر القرآن الكريم تحديد النسل في سياق العقوبات، التي نزلت بأمم اتسمت بالفساد والظلم والتسلط، فقد أفنى الله تعالى أقواما بسبب جبروتهم وتسلطهم، فقد أهلك الله تعالى ابن نوح أمام عينيه، وأهلك فرعون وقومه، وأخل عاداً الأولى وثمود، وقوم لوط، وأهلك بني قريظة، فقطعت أنسالهم كعقوبة لما قاموا به من فساد وإفساد، وما فعله الملوك الجبابرة في شأن أممهم من تحديد أنسالهم كالذي حل ببني إسرائيل، كما وصفه بأنه خسران للذين مارسوه ضد أولادهم كما فعل الجاهليون قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً....(140)﴾ الأنعام،

- تكثير النسل قوة ومنعة وعزة للأمة الإسلامية: الناظر في الغاية من خلق الإنسان إخلاص العبادة لله تعالى، وتعنير الأرض، ببسط العدل والقسط، وإظهار معالم الإسلام المتمثلة في الرحمة والسماحة والتوسط، والوفاء والتضحية، وإن كان تعلى وعد عبادهه الصالحين بوراثة الأرض فالمفهوم من ذلك إظهار شعائره تعالى، وهذا لا يتأتى إلا بتكثير الذرية الصالحة، فبذر المؤمنين في أي بئة كفيل بإصلاحها فهم كالمطر للأرض والزرع، وقد ذكر شعيب قومه بنعمة التناسل والكثرة، قال تعالى على لسان شعيب: ﴿..وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ..﴾ الأعراف، وحثنا النبي صلى الله عليه وسلم بالتناسل والتكاثر، وعلل ذلك بإرادته إظهار فضل أمة الإسلام على سائر الأمم، إن مقام الأمة الإسلامية كفيل أن جعلها أمة الريادة، مثلها صلى الله عليه وسلم بالمطر فقال: "مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره"،[20] فالقوة البشرية أضحت في الواقع المعاصر، هي مفتاح التنمية والتعمير، فالغرب يعاني من ويلات تحديد النسل لقد بنى صناعة علمية رائدة ولكنه أصبح يعاني ويلات النقص السكاني، وصار يبحث عمن يقوم بتشغيل العجلة الصناعية، كأمثال أوربا وأمريكا واستراليا وغيرها من الدول.

وسائل ومظاهر تحديد النسل في الواقع المعاصر وآثارها: تعددت وسائل ومظاهر تنظيم النسل في الواقع المعاصر، فما شهده العالم اليوم من اكتشافات حديدة في منع الحمل، تعد ظاهرة وسلاح ذو حدين، فهو أحوج إلى إمعان النظر فيه وتوجيهه وفق مقاصد الشرع الإسلامي، عليه فإن البحث معني بعرض جزء من تلك الوسائل مع بيان توجيهات الشريعة ومقاصدها في التعامل مع هذه الظاهرة. باعتبارها وسائل مانعة لتحقيق انسيابية التناسل والتكاثر، التي ارتضاها الله تعالى لعباده سيما المؤمنين منهم:

-العزل: قضية العزل قضية تاريخية، ويقصد بها أن يقذف الرجل ماءه خارج رحم المرأة، تجنبا للحمل، وكان معروفا عند الصحابة، أقره النبي صلى الله عليه وسلم، كحديث جابر بن عبد الله بقوله: »كنا نعزل والقرآن ينزل«،[21] بمعنى أن القرآن لم ينزل فيه ما يحرمه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحرم أفعالهم له، كما وردت فيه أحاديث وآثار تنهى عنه، منها حديث جدامة بنت وهب قالت: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس وهو يقول: »لقد هممت أن أنهي عن الغيلة...ثم سألوه عن العزل فقال صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفي«،[22] وسيأتي التفصيل فيه في باب الحكم الشرعي في تنظيم النسل

-الوسائل المصنعة: شهد العصر الحديث ثورة صناعية في مجال تحديد النسل، ساهمت بشكل كبير في الحد من النسل وتقليله، منها اللولب، وحبوب منع الحمل، والحقن، والتنظيم الدوري للمعاشرة في فترة عدم نزول البويضة للتلقيح في الرحم، والواقي الذكري وربما يؤدي تعاطي بعض هذه العقاقير إلى العقم، ومن ثم الحرمان من الذرية، ويلعب الطب دورا بارزاً في هذا المضمار، لتقدم علم الأجنة، الذي بات يدقق في معرفة الحمل منذ يومه الأول، لذا فيقع على عاتق الطبيب دور المستشار المؤتمن، فإن أحسن إلى المهنة وراعى الله تعالى في ذلك فبمثابة إحياء النفس، فكثر من الأخطاء الطبية المتعمدة وغير المتعمدة تؤدي إلى حالات العقم، لدى كثير من النساء.

- تأخير سن الزواج: حث النبي صلى الله عليه وسلم الشباب على الزواج المبكر، لما فيه من كثير الذرية، وأمن المجتمع، بمحاربة الرذائل بغض البصر وتحصين الفرج، عن إبراهيم عن علقمة، قال: كنت أمشي مع عبد الله بمنى، فلقيه عثمان فقام معه يحدثه، فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن ألا نزوجك جارية شابة؟ لعلها تذكرك بعض ما مضى من زمانك، قال: فقال عبد الله: لئن قلت ذاك لقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: »يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء«،[23]

أشار النبي صلى الله عليه وسلم للزواج المبكر لما فيه من تحصيل مقاصد الإصلاح المجتمعي، ببناء مجتمع ذو مسؤولية، لدى شبابه، وتكثير للذرية، فالشباب فيه من الطاقة والحيوية، وسلامة البدن ما تجعل من الإنجاب فيه من السهولة بمكان على خلاف السن المتأخرة فيها من تفويت المصالح الكثيرة على سبيل الفرد والمجتمع، فكل ما تزوج الرد باكرا ساهم بشكل أكبر في تربية أبنائه الذين يكونون هونا لهم في الدنيا والآخرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: »إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له«،[24] بينما تأخر سن الزواج سيما للفتيات سبباً في تحديد وتقليل النسل عندهن، فالأطباء يرون الحمل للمرأة فوق الخامسة والثلاثين من عمرها، ربما يعرضها لكثير من المشاكل والمتاعب، وربما يولد الجبنين مع كثير من المشاكل الصحية.[25]

الامتناع عن المعاشرة الزوجية: من وسائل تحديد وتنظيم النسل الامتناع أو التقليل من المعاشرة، وهذا فيه من تفويت المصالح المشروعة، من مقاصد الزوج ، الذي يتحقق به غض البصر، وتحصين الفرج، وإنجاب الولد، قال صلى الله عليه وسلم: ...»وفى بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر«[26] والاستطاعة البدنية بإشباع الزوجة بالمعاشرة الجنسية حق مشروع، للزوج والزوجة، والتفريط فيه يتسبب في ضرر أحد الزوجين، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم الزوجة عن الممانعة من إمتاع زوجها، فقال صلى الله عليه وسلم: »إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ«.[27] وأجاز للمرأة الخلع عن الزوج إن كان قصر في إمتاعها وإشباعها بالجماع، عن عائشة رضي الله عنها: جاءت امرأة رفاعة القرظي النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: كنت عند رفاعة فطلقني فأبت طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، إنما معه مثل هدبة الثوب، فقال: »أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك« .[28] وأبو بكر جالس عنده وخالد بن سعيد بن العاص بالباب ينتظر أن يؤذن له فقال يا أبا بكر ألا تسمع إلى هذه ما تجهر به عند النبي صلى الله عليه و سلم قال صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار، الاستمتاع بالعلاقة الزوجية فالإمتناع من ممارسة.

الحكم الشرعي لتنظيم النسل:

تنظيم النسل له عدة مفاهيم منها التنظيم بمعنى قطع النسل، بأي صورة من صور القطع، بحيث يتعذر الإنجاب أبداً، فهو أمر محرم [29] ولا يباح إلا لضرورة تقدر بقدرها، لأن إباحته لا تتماشى مع قيم الشريعة ومقاصدها، التي دعت إلى المحافظة على النسل عن طريق الإنجاب والتكاثر. والوجه الآخر لتنظيم النسل هو الإقلال من الإنجاب، وهذا كان أمره معروفا في بداية الإسلام وفي زمان النبي صلى الله عليه وسلم حيث وردت فيه العديد من الأحاديث التي سكت النبي في بعضها كحديث جابر رضي الله عنه: »كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَنْهَنَا[30] ,

وفي بعض الأحاديث قلل النبي صلى الله عليه وسلم من تأثير العزل، ، وحديث أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بينما أنا جالس عند النبي إذ جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله إنا نصيب سبيا فنحب الإتيان، فكيف ترى في العزل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: »أو إنكم تفعلون ذلكم؟ لا عليكم أن لا تفعلوا ذلكم، فإنها ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا وهي خارجة«،[32] وبناءاً على ذلك اختلف الصحابة في حكم العزل فأجازه جماعة منهم علي بن أبي طالب، والحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وخباب بن الأرت، وأبو أيوب الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري. وكره العمل بالعزل جماعة من الصحابة منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وابن عمر، وكان يضرب بنيه عليه.

أما فقهاء المذاهب الأربعة، قالوا بجواز تنظيم النسل المؤقت – العزل- على تفاصيل فالأحناف والمالكية [33] والحنابلة، اشترطوا إذن الزوجة لأن الإنزال مظنة الولد وهو أحد حقوقها، والعزل مظنة منع الولد. بينما الشافعية [34] أجازوا تنظيم النسل – العزل[35]- بدون إذن الزوجة، وتبع الشافعية متأخروا الأحناف قال الطحاوي إن العزل غير مكروه إذ أن الصحابة لما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عنه لم ينههم.[36] أما الظاهرية لم يجيزوه بل حكموا عليه بالتحريم، واستدلوا بحديث جدامة بنت وهب عن العزل، فسماه النبي صلى الله عليه وسلمالوأد الخفى، وعليه علق ابن حزم بقوله: "ولا يحل العزل عن حرة ولا عن أمة ..[37]

بناءاً على ما سبق من أقوال العلماء وموقفهم من قضية تنظيم النسل، فإن مسألة تحريمها وإباحتها يختلف من حالة إلى حالة، وفق الظروف المحيطة.

أخلاقيات الطب وأثرها في تنظيم النسل: أضحى الطب الحديث رائدا في مجال علم الأجنة، وتنظيم وتحديد النسل، مما زاد من أهميته في حياة الناس، ونسبة لإسهام الطب في المحافظة على صحة الناس وبيئتهم اهتم به الإسلام، وشرَّع التداوي عن طريق الطب، عن سعد قال مرضت مرضا أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فوضع يده بين ثديى حتى وجدت بردها على فؤادى فقال: »إنك رجل مفئود ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب[38] فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن«،[39] ولتعلق الطب بحفظ النسل والأعراض، والعقل فإنه يحقق مقاصد الشريعة، والناظر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة بصحة البدن، والصحة النفسية، وصحة البيئة، فإنه صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى المحافظة على النظافة، وتناول الأكل الصحي، ومقدار الطعام، ومن ثم يأمر بالتداوي والاستشفاء، قَالَتِ الأَعْرَابُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نَتَدَاوَى قَالَ »نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِدًا«.[40] هذه الأحاديث تنامي من أهمية الطب، وضرورة مراعاة أخلاق المهن الطبية التي كانت موطن إهتمام كذلك من المجتمع والحكومات، وسنت لها القوانين المنظمة للمهن الطبية، فأصبحت تلك القوانين تعتني بقياس كفاءة

الطبيب، والتدريب المستمر، وكفالة حقوقهم المالية، والأهلية، وحمايتهم، ومراقبتهم، وضبط معاملاتهم مع المرضى، والحالات المرضية، حيث تفرز الفوضى المهنية في الطب فرص للاستغلال الخاطيء للمهنة الرسالية للطب البشري، ومن هذه القوانين ما يختص بقضايا تحديد وتنظيم النسل،[41] لقد ساهم الطب الحديث كثيرا في إسعاد البشرية، وفي ذات الوقت فإن التدخلات الطبية في تنظيم النسل وتحديده زادت من تفشي ظاهرة الإجهاض، والفساد الأخلاقي، وتخصيب البويضات خارج نطاق الاتصال الجنسي، ويمكننا الوقوف على جوانب من ضوابط أخلاق المهن الطبية:

- إخلاص النية: النية مناط العمل، والدافع الأساس في تطوير العمل، لذا عول عليها الإسلام كثيراً ودعا إلى تصحيحها وتوجيهها لتكون نية صالحة دافعة لعمل الخير، والمهن الطبية من القضايا التي في حاجة ماسة لتصحيح النية، وذلك لعظم مسؤولية المهنة الطبية، تجاه المرضى، والمجتمع، قال صلى الله عليه وسلم: »إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى«.[42] والطبيب جاز له الاطلاع على أسرار وعورات الناس، وهو مؤتمن على المريض وتطبيبه، فتقتضي منه المهنة تجنب الأخطاء الطبية، وتجريد النية من الأطماع الشخصية، والرذالة، والأنانية، وقد إتمنه الله تعالى، وخصه بمهنة رسالية في المقام الأول، فإن أتقنها ألهمه الله تعالى رشده، وأجرى الخير على يديه، وهي فرصة كبيرة للتقرب إلى الله تعالى.

- الكفاءة الطبية: تقتضي أن يكون الطبيب متقنا لعمله، منضبطاً في وقته، معتنياً بمرضاه، دقيقاً في تشخيص الأمراض، متعاوناً مع زملائه لتطوير ذاته، وتأهيلها المستمر، وهذا يتطلب الصدق في النية والعمل، بدأ من تشخيص المرض، وصرف الدواء، والابتعاد عن الغش والتضليل بغرض أكل أموال الناس بالباطل، وأن يتجنب الأخطاء الطبية، فهي أخطاء لاتحتمل عواقبها لتعلقها بأرواح المرضى، كما تتطلب المسرولية المهنية المقدرة على ممارسة الطب، قال صلى الله عليه وسلم: »من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن«،[43] فإن عدم الكفاءة الطبية تعرض المرضى لخطورة التطبيب الخاطئ وتتلف الأرواح، وبالتالي تتعلق بها عقوبات رادعة فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: »لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ «.[44] وقد يتسبب في قتل مسلم، أو تعطيل بعض أجزاء من جسمه، وبهذا يكون عرض نفسه لمسؤولية لم يستعد لها وليس من أهلها، فبدل أن ينال رضا الله تعالى عرض نفسه لسخط الله وغضبه، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)﴾ المائدة.

- الأمانة الطبية: تقتضي الأمانة الطبية مراعاة الضمير، ومحاسبة النفس، بحيث يجتنب ما يضر المسلم المريض، فلا يعين على الإجهاض مثلاً، مهما تعدت أسبابه إلا في الضرورة القصوى التي يحددها الطب، كمرض الأم وتشوه الجنين وغير ذلك، وتقتضي الأمانة الطبية مصارحة المريض بعلته، وتقديم النصح بما يفيده من استشفاء، وتخفيف آلامه معنوياً وحسياً، فالطبيب ناصح أمين، فالمريض في غالب أمره متهيئ نفسياً باتباع إرشادات الطبيب والعمل بنصحه، فكلما علت أمانة الطبيب كلما زاد منفعته للناس وحقق سمعة طبية جيدة يكون بها أسوة حسنة لغيره من الأطباء.

- ستر عورات المريض: أتاحة مهنة الطب للأطباء الإطلاع على عورات المرضى وهي ضرورة أجازها لهم الشرع لتحقيق مصلحة الاستشفاء، فلا يجوز إفشاء أسرار المرضى أو انتهاك عوراتهم إن كانوا نساءاً أو رجالاً، أو أطفالاً، فقد يطلع على مرأة حامل من سفاح، أو مغتصبة، فيجب عليه ستر عورتها، إلا لدواعي شرعية تقدر بقدرها وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»,[45] فالطبيب الذي يطلع على ما وقع فيه المرضى من مخالفات أفضت بهم إلى مشكال صحية ورديئة في نظر المجتمع كالحمل السفاح، أو إدمان المخدرات، يجب على الطبيب تقديم النصح لهم وسترهم وحثهم على التوبة، وستر أمرهم، وإعانتم على الطاعة، وتحذيرهم من العودة المعاصي، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ العصر.

والواقع يبرز دور المهن الطبية في مسائل تنظيم النسل، بشكل واسع ومستمر ودقيق وعلمي، مما يعاظم من ضرورة الاهتمام بأخلاق المهن الطبية، مع مراعاة المقاصد الشرعية للإسلام، فالمقصد الإسلامي أولوياته تكثير النسل، والمحافظة على قضايا ارعاية الصحية، مما يبرز قضايا الأمانة الطبية، وإتقان المهنة الطبية، ومناصحة المرضى، وستر عوراتهم، وتصحيح أخطائهم. ومن جانب آخر مراعاة أمر الله تعالى، وذلك بعدم استعمال التكنلوجيا الطبية في نشر المحرمات والمخظورات، وخلط الأجنة، والتلاعب بها، واستئجار الأرحام، وعلى الأطباء والمجالس الطبية ربط قضايا أخلاق المهن الطبية بالفقه الإسلامي واستشارة الفقهاء وأهل الحل والعقد من علماء الأمة في إعمال الأدلة في فقه النوازل الطبية . والله ولي التوفيق والسداد.

الخاتمة:

- حفظ النسل واحداً من مقاصد الشرع، حيث حث على تكثيره، وتنظيم النسل وتحديده قضايا طارئة وضرورة شرعية تقدر بقدرها.
- تنظيم النسل بمفهومه الحديث كان عاملاً مساعداً لكثير من المحظورات الإسلامية كاللواط، والسحاق، وزواج المثليين،... الخ.
- أشار القرآن الكريم لتحديد النسل بمفهومه المعاصر كواحد من معاول الهدم المجتمعي، ومن أبرز أسباب

الاستبداد والفساد الاقتصادي والديني والاجتماعي عبر تاريخ البشرية، بما ضربه من أمثلة بأفعال فرعون وعرب الجاهلية الأولى.

- مفهوم شح الموارد الاقتصادية بسبب الإنفجار السكاني ليست واقعية، فما حل بالبشرية من ضيق الموارد ناتج لأسباب أخرى كالفساد الإداري، والتخلف والكبت وضياع العدالة المجتمعية.
- دور الأخلاق الطبية يتعاظم نسبة للتقدم الذي شهده طب الأجنة، وتنظيم النسل، فإصبحت مهنة الطب في حاجة لضوابط أخلاقية من الأمانة، والصدق، وحسن التطبب، وستر عورة المرضى ونصحهم وغير ذلك، بما يتوافق مع روح الشرع لما يسهم في التنمية البشرية.
- تكثير النسل ضرورة دينية تتكامل مع تنظيم النسل، لما فيه من إعداد قوة وقاعدةبشرية فاعلة ومتفاعلة في المجتمع البشري، يسهم بدوره في التعريف بالإسلام والدعوة إليه، ومن ثم هي مفخرة ومقربة لنبي الإسلام وتحقيق وصيته صلى الله عليه وسلم بدعوته للتناكح والتناسل.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407 – 1987م).
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط) .
- ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد، المحلى، تحقيق محمد منير الدمشقي (مصر: إدارة الطباعة المنيرة، ط1، 1352هـ)
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي، الأستاذ محمد عبد الكبير البكري
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي: (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م).
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، د.ط)
- د. طارق محمد الطواري، جامعة الكويت كلية الشريعة، قسم التفسير والحديث، العزل عن المرأة دراسة شرعية وطبية، راجع موقع: www.zawjan.com.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1404 – 1983).
- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤط (بيروت: مؤسسة الرسالة)
- ابن العثيمين، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، فتاوى نور على الدرب (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الخيرية، ط1، 1427-2006م)
- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، (دار إحياء التراث العربي).
- ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطب النبوي، تحقيق: السيد الجميلي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1410هـ/1990م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية ، ط7، 1415هـ / 1994م).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه (موقع وزارة الأوقاف المصرية).
- مجلة مجمع الفقه الاسلامي، جدة: منظمة المؤتمر الاسلامي).
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1420هـ/2000م)
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت).
- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (بيروت: دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، ط1، 1410ه)
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (بيروت: دار الجيل: الأفاق الجديدة، د.ت، د.ط)
- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411 – 1991م)
- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميران (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1416 هـ - 1996م).
- وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته (دمشق، سورية: دار الفكر، ط2، 1985م)
- http://hayatouki.com/pregnancy/-content/1861257
- http://www.med-ethics.com
- https://arabic.rt.com/news/798541، تاريخ: 20/10/2016
- http://alarb.co/new/detail397654.html : بتاريخ: 2-11-2016
- http://alarb.co/new/detail397654.html : بتاريخ: 2-11-2016

الهوامش

1. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (21) ﴾ الروم.

2. قال الله تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ(49) } البقرة.
3. قال الله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) } التكوير.
4. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ظ1، د.ت) ج12، ص578.
5. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (بيروت: دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق، ط1، 1410ه) ص698.
6. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، (دار إحياء التراث العربي) ص318.
7. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م)، ج5، ص118.
8. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي: (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)ج8، ص500.
9. أشار البوطي إلى المعني الاصطلاحي الشائع في تنظيم النسل: هو: ما قد يتبعه الزوجان من الوسائل والأسباب التي من شأنها أن تحول دون نشوء الحمل، كليًا أو جزئيًا مجلة مجمع الفقه الاسلامي، جدة: منظمة المؤتمر الاسلامي، ج5، ص98.
10. https://arabic.rt.com/news/798541، تاريخ: 20/10/2016
11. هي نبتة منقرضة، كانت تنمو في شرق ليبيا، وكانت لها خصائص في الإستشفاء لكثير من الأمراض، مما أدى لزيادة الطلب عليها، وانقرضت في القرن الثاني الثالث قبل الميلاد. http://alarb.co/new/ detail397654.html : بتاريخ: 2-11-2016
12. http://alarb.co/new/detail397654.html : بتاريخ: 2-11-2016
13. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور (لبنان: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1420هـ/2000م) ج1، ص476 – انظر: النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411 – 1991م)ج6، ص396، من حديث ابن عباس.
14. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1404 – 1983) ج18، ص337.
15. نفس المرجع، ج7، ص75.
16. نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميران (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1416 هـ - 1996م) ج6، ص39.
17. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، د.ط) ج2، ص175، حديث رقم20.
18. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، زاد المعاد في هدي خير العباد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية ، ط7، 1415هـ /1994م) ج2، ص142.
19. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط3، 1407 – 1987م) ، ج1، ص15، حديث رقم18
20. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط) ج5، ص152، حديث رقم2869.
21. صحيح البخاري، ج5، ص1998م.
22. صحيح مسلم، ج2، ص16، حديث رقم1442.
23. صحيح البخاري، ج7، ص173، حديث رقم2485.
24. صحيح مسلم، ج5، ص73، حديث رقم431
25. http://hayatouki.com/pregnancy/-content/1861257
26. الإمام مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (بيروت: دار الجيل: الأفاق الجديدة، د.ت، د.ط) ج3، ص82، حديث رقم2376
27. صحيح البخاري، ج17، ص13، حديث رقم5194.
28. صحيح البخاري، ج2، ص933، حديث رقم2496.
29. أ. د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته (دمشق، سورية: دار الفكر، ط2، 1985م) ج3، ص558-559.
30. صحيح مسلم، كتاب النكاح باب حكم العزل، ج2، ص1064.
31. صحيح مسلم، كتاب النكاح باب حكم العزل، ج2، ص1064.
32. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ج2، ص1062.
33. قال مالك رحمه الله تعالى: "لا يعزل الرجل عن المرأة إلا بإذنها"، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي، الأستاذ محمد عبد الكبير البكري، ج3، ص149.
34. الفقه الإسلامي وأدلته، ج3، ص554
35. العزل هو نوع من أنواع موانع الحمل، وكان شائعا في صدر الإسلام، وفي الواقع المعاصر تعددت موانع الحمل، من دواء وغيرها، قال الزركشي: وبناء: "يجوز

استعمال الدواء لمنع الحبل في وقت معين كالعزل ولا يجوز التداوي لمنع الحمل بالكلية" الفقه الإسلامي وأدلته، ج3، ص554.

36. الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤط (بيروت: مؤسسة الرسالة، جé، ص370

37. ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد، المحلى، تحقيق محمد منير الدمشقي (مصر: إدارة الطباعة المنيرة، ط1، 1352هـ) ج10، ص70.

38. ذكر ابن القيم أن الحارث بن كلدة، نظر إلى سعد فقال: ليس عليه بأس، فاتخذوا له فريقة، وهي الحلبة مع تمر عجوة رطب يطبخان، فيحساهما، ففعل ذلك، فبرئ وقوة الحلبة من الحرارة في الدرجة الثانية، ومن اليبوسة في الأولى، وإذا طبخت بالماء، لينت الحلق والصدر والبطن، وتسكن السعال والخشونة والربو، وعسر النفس، وتزيد في الباه، وهي جيدة للريح والبلغم والبواسير، محدرة الكيموسات المرتبِكَة في الأمعاء، وتحلل البلغم اللزج من الصدر، وتنفع من الدبيلات وأمراض الرئة، وتستعمل لهذا الأدواء في الأحشاء مع السمن والفانيذ. ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطب النبوي، تحقيق: السيد الجميلي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1410هـ/1990م) ص230.

39. سنن أبو داود، ج4، ص8، حديث رقم3877، حكم عليه الألباني بالضعف.

40. سنن الترمذي، ج8، ص81، حديث رقم2172.

41. http://www.med-ethics.com

42. صحيح البخاري، ج1، ص1، حديث رقم1.

43. سنن أبي داود، ج4، ص32، حديث رقم4588.

44. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه (موقع وزارة الأوقاف المصرية) ج7، ص24، حديث رقم243.

45. صحيح البخاري، ج8، ص309.